

دلالة اللون

في الشعر النسوي العراقي المعاصر

م.م. فرح غانم صالح حميد البيرماني

جامعة بغداد/كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

الملخص

يُعد عالم الالوان من أكثر العوالم اقتراباً لعالم المرأة (الشاعرة) التي لمست من خلاله مدى ابداعها في التعبير عما يعتري وجدانها من أحاسيس، فارتبطت برمزية اللون بشكل نفسي لذلك قدمت لوحات شعرية تستوعب حجم معاناتها بقضايا خاصة وعامة، وبذلك كشفت السطور الملونة عن رقة الشاعرة العراقية وجمالية تعاملها مع اللون ودلالاته، لاسيما اللون الأخضر والأحمر اللذان كانا أكثر اقتراباً لإحساس الشاعرة العراقية المعاصرة في معالجة قضاياها الوجدانية.

Abstract

The world of colours is considered to be the nearest world to the woman (poetess); who touched through her creativity of expression what might fill her passionate senses with emotions. Therefore, she is connected to the symbolism of the colours psychologically. That is why she is able to paint poetic senses comprehending her colourful suffering with personal and general issues. Her coloured lines revealed the tenderness of the Iraqi poetess and her beautiful dealing with colours and its significance, especially green and red which are the nearest colours emotionally to the current Iraqi poetess in handling sentimental matters.

المقدمة

"تعد الالوان من أكثر الاشياء جمالاً وخصوبة في حياة بني البشر، منها أثرى الانسان حياته واضفى عليها من بديع الجمال وبهائه ما لا يحده واصف أو يحيط به خيال"^(١)، فلقد ربط الانسان الاول الالوان بالعالم المرئي من حوله، كما رمز بها الى قوى خفية يشعر بها ولا يراها أو يعرف كنهها^(٢). وكان للون حضوره ايضاً في الكثير من الآيات والسور القرآنية، حيث "ورد اللون الأبيض في أحد عشر موقِعاً في القرآن الكريم، وكانت دلالاته تشير الى الصفاء والنقاء والعمل الصالح"^(٣)، فضلاً عن اشارته الى دلالة كونية زمنية يرتبط بها تشريع ديني، ومن ذلك قوله تعالى "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ"^(٤)، فالخيط الابيض والخيط الاسود دلالة على الصباح والمساء، و"ذكر السواد في كتاب الله العزيز سبع مرات"^(٥) قال تعالى "فَأَمَّا الَّذِينَ آسَوَّتَ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ"^(٦) فدلالة اللون الاسود على العمل السيء وانكار الإيمان، ولقد ورد "اللون الأحمر في القرآن الكريم مرة واحدة دل فيها على مشهد حسن"^(٧)، قال تعالى "وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا"^(٨) وجاء " اللون الأخضر في القرآن الكريم ليشير الى ملابس أهل الجنة وما ينتظره المسلمون من نعيم، إذ ورد تسع مرات في كتابنا العزيز"^(٩) قال تعالى "وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ"^(١٠)، "ووجد اللون الأصفر في خمسة أماكن في القرآن الكريم"^(١١)، فمن ذلك قوله تعالى "قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوُثُهَا تَسُرُّ النَّاصِرِينَ"^(١٢) وارتبط اللون الأزرق في القرآن الكريم بالشيء المكروه^(١٣)، قال تعالى "وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا"^(١٤)، ولم يقتصر ذكر اللون على القرآن الكريم وإنما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة أيضاً بدلالات مختلفة ومتنوعة*، فضلاً عن ذلك نلاحظ إقتران الالوان منذ قرون عديدة مع اسماء الكواكب السماوية، فمن تلك الالوان على سبيل المثال لا الحصر، "اللون الفضي يعود الى القمر والذهبي الى الشمس والأحمر الى المريخ والبنفسجي الى عطارد"^(١٥)، واصبح اللون الابيض لون التطهير بعدما كان مرتبطاً منذ الأزمنة القديمة بالنهار والضوء وبالقوة السحرية التي تبدد الاسود أي الليل والظلام، إذ اختلفت معاني الالوان ورمزيتها عند مختلف الشعوب، واستخدمت قوة تأثيرها الرمزي في القيم الروحية، عن طريق التقاليد والعادات، فاللون الأحمر يُقرن بالاحتفالات، والأزرق بالتفوق والأخضر بالطبيعة، والأسود بالموت، والأصفر بالشمس، فلقد أعطت الحضارات المختلفة عبر العصور دلالات رمزية لبعض الالوان من دون غيرها، فالأسود رمز الحداد والموت والالام في الحضارة الغربية، والأحمر رمز الابتهاج، في حين رمز اللون الابيض في الحضارة العربية الاسلامية الى السعادة الأبدية وحياناً الى التعبير عن الحزن والتجع^(١٦)، إذن للالوان دلالات معينة وارتباطات بالظروف والأحداث والحضارات والديانات والاختبارات السايكولوجية، حيث يرى د.صبري محمد ان للون جانبه

السايكولوجي، فثمة من "يفضل ألواناً على ألوان أخرى لأنه يربطها بما يحب أو لا يحب بوجه عام، فمن الناس من يحب اللون الأخضر لارتباطه بفصل الربيع، ومنهم من يحب اللون الأزرق لأنه يذكرهم بزرقة السماء في يوم اقترن بيوم طيب، ومنهم من يكره اللون الأحمر لأنه مرتبط في أذهانهم بالخطر والدماء"^(١٧)، في حين يرى د. يحيى حمودة "أنه بخلاف الناحية الجمالية، فإن دراسة تأثير اللون على سايكولوجية وفسولوجية الجسم البشري قد أعطت نتائجها يمكننا الاستفادة منها، إلا أننا لا نستطيع أن نتجاهل مثلاً أن اللون الأحمر يسبب الإثارة وشدة سرعة نبضات القلب، وأن اللون الأزرق لون مهدئ للجهاز العصبي، وعليه فقد أمكننا تفهم الألوان والتنبؤ بتأثيراتها المختلفة"^(١٨)، وقد شكل استخدام اللون ظاهرة مميزة في الأدب العربي بشكل عام، وفي الشعر بشكل خاص حيث وظف فيه اللون وجعل منه عنصراً يستمد منه بعض طاقاته الإيحائية، فقد "شغل في الشعر حيزاً قد يفوق ما شغله في الفنون التشكيلية في الحضارات القديمة"^(١٩)، حيث كان الشاعر الجاهلي يُكثر من ذكر الألوان في أشعاره، ليعبر عن بعض ما أراد التعبير عنه بصورة إشارات أو دلالات مخفية، لذلك كان "يميل إلى إضافة الألوان المعروفة والمحسوسة في عالمه إلى محسوساته لتتجلى معالمها وتتحدد أبعادها ولتأخذ في الوجدان شكلاً نهائياً واضحاً"^(٢٠)، لذلك أصبح للون لغة تعبيرية ووظيفة جمالية ووسيلة "تؤدي بالوصف الضوئي واللوني حركة وحياة تقربها من النفس والروح"^(٢١)، فضلاً عن ذلك أصبح يُنظر إلى طبيعته النفسية وكونه عنصراً من عناصر المعنى^(٢٢)، فالغاية الرئيسية من توظيف اللون في اللوحة الشعرية هو "الدقة في التعبير وإضافة معنى جديد على مجرد اللون مثل تجدد اللون أو ثباته ولمح معنى التشبيه فيه أو المبالغة"^(٢٣)، وتمارس الألوان انطباعات على تلك النصوص من خلال الدلالات المعنوية لألفاظ الألوان^(٢٤)، ونلاحظ وقوف كثير من الباحثين عند دلالات الألوان، إذ رأى بعضهم أن "اللون الأصفر يدل على الخريف والحزن والموت والقحط والبؤس والذبول والألم والشحوب والانقباض، والأحمر يشير إلى النشوة والثورة والتمرد والحركة والحياة الصاخبة والغضب والانتقام والقسوة، والأبيض يرمز إلى الصفاء والغبطة والنقاء والطهر والعفاف والسلم، والأسود عكس ذلك يوحي بالحزن والخطيئة والظلام والقساوة، والأخضر عنوان انبثاق الحياة والصحة ويرمز إلى الكون والطبيعة والربيع والمرح والسرور والشباب، والأزرق يشير إلى الهدوء والسكينة والامتداد والعالم الذي لا يعرف الحدود"^(٢٥)، فضلاً عن اللون البنفسجي الذي يجمع بين الحكمة والحب^(٢٦). إذن لدلالة اللون تأثيره السحري في عالم الشعر، الأمر الذي شغل فكر شواعرنا العراقيات المعاصرات اللواتي وظفن دلالة اللون الثابتة والمتغيرة في لوحاتهن الشعرية، ليعبرن عن تجاربهن الخاصة وإحساسهن إزاء تلك التجارب، ومدى رقتهن وعواطفهن ونوازعهن الوجدانية وأحلامهن الرومانسية، فجدد اللون دلالة الإحساس لا دلالة البصر في نصوصهن الشعرية، فضلاً عن كونه لغة تعبيرية لها سحرها الأخاذ في عالم المرأة المتأزم من قيود المجتمع الشرقي، وتلجأ بعض شاعرنا إلى

توظيف الإيقاع اللوني وعدم التصريح بلفظ اللون في قصائدهن، من خلال بناء النص على "حركة مشهدية تخلق إيقاعاً لونياً مقارباً للإيقاع اللوني التي تنتجها اللوحة حتى دون التصريح بألفاظ الألوان"^(٢٧)، فمارس اللون سحره في عالم المرأة الخاص، بوصفه مرآيا للأحاسيس التي تشعر بها، فضلاً عن مجيئه كضرورة نفسية أعطت "الصورة قيمة شعورية وفنية عالية، جعلتها أكثر عمقاً واتساعاً"^(٢٨)، وهذا ما لمسناه ورصدناه في دواوين الشاعرة العراقية المعاصرة الباحثة بذكاوتها ورهافة حسها عن منافذ لتفريغ شحنات ذاتها المكبوتة بأعاصير الشوق والغرام، لذلك احتلت "دلالة اللون" مساحة مفتوحة الحدود في صفحات دواوين شاعرنا العراقيات المبدعات في تلوين صورهن الأدبية، فأبدعت الشاعرة ضوية عبد الباقي وهي توظف اللون الأخضر الذي اختارته لونها لشرفتها، وهو يعبر عن نفسها التواقة للجمال والأمل والإحساس، إذ تقول في قصيدتها (القادم المغترب)...

أبدأ اللحظة من شرفتي الخضراء

أنادي القادم

أن يبدد بأنفاسه حزناً استقر بعمرى^(٢٩)

واختارت عاتكة الخزرجي اللون الأخضر في قصيدتها (على الشاطئ الأخضر)، ولون الشاطئ هنا غير موضوعي، ولكنه يعكس حالة نفسية خاصة بشاعرنا، فربما أرادت عاتكة بعد رحلة الآمها وشعورها بالقلق أن تخلق جواً لها من السرور والحياة والانتعاش بمشاهد الطبيعة المتألقة، فرمزت للشاطئ بذلك اللون، فنقول...

خبرتُ من العيش أيامه	وعدتُ أجرُ الخُطى من نَدَم
وأودعتُ قلبي وأحلامه	لدى معبدٍ شدتهُ من ألم
هناك على الشاطئ الأخضرِ	هناك بعيداً وراء الأفقِ
إلى عالمٍ مشرقٍ مُسفرٍ	ودنيا تموج بسحر الشَّقِّقِ ^(٣٠)

وتتفق الشاعرة نجاة عبد الله مع عاتكة الخزرجي في توظيف اللون الأخضر الذي يرمز إلى الحياة والتفاؤل والسعادة، ويرتبط بإحساس المرأة وطبيعتها الأنثوية، فجسدت تطلعها إلى الحرية ولقاء الحبيب في قصيدتها (مكالمة)، لتقول...

هاتف القلب عاطل..

كيف أخبرك بلغة الأسلاك

أن الفراشات غزت النافذة،

فصار الموعد أخضر؟^(٣١)

لكن الشاعرة رفاه الإمامي بالرغم من إحساسها بالتفاؤل والحب والأمل والسعادة، لكنها تشعر بأنها مجروحة، وكأن هناك دورة زمن كاملة تبعتها عن الحبيب، لتقول في قصيدتها (أثر من رحيلي)...

بيني وبين الريح

سهولاً خضراء،

وروداً مجروحة،

دورة زمن. (٣٢)

هذا التناوب في الاستخدام للونين الأخضر والأحمر (وروداً مجروحة) هو تجسيد لهذا التذبذب في مشاعرها وتجاربها.

وزهور دكسن تحمل الأشياء إحياءات جديدة، فتحول اللغة المنطوقة إلى لغة الإحساس، تلك اللغة الشعرية الجميلة، لتقول في قصيدتها (من تداعيات الصحو ١٩٨٩)...

يسرقُ مني اللغةَ الخضراءُ

يسرقُ موسيقيَّي والأصداء

يظفئُ نجماً كان وهَّاجاً على قلبي

يسلبني حتى خطي الدربِ

حين تمرأى شجري باللون

وافترشَ العشبُ مرايا الكونِ

وعششتُ أبكيَّةَ الغناءِ

تحت ظلال الهاجس المكنونِ

أجهشتُ إذ ناديتُ:

يا خنساءُ

لكنَّها شدَّتْ على كفي

وصمَّتها يُجهزُ - إذ يُخفي

وقلَّدتني وَرْدَةً بيضاءَ! (٣٣)

وتعشق لميعة عباس عمارة لغة الألوان، وتوظفها بدلالاتها الثابتة والمتغيرة، فكان اللون الأخضر في قصيدتها (يوم السلام) رمزاً يعكس مدى إحساسها بالفرح والحرية، وهي تقول...

يا خُضرةَ الحقولِ

يا عيون

يا وديان

يطير بي عيدٌ إليك. (٣٤)

وتستمر شاعرثنا تستعرض صورها الشعرية المفعمة بنفحات الأمل والتفاؤل والرقّة والحب والحياة،
بعدها اخضرت أيامها ونبض قلبها، لعودة الحبيب، إذ تقول...

من أيّ قطرٍ كنت - لا فرق -
تظلُّ الأقربا
قلها

لتخضّر وريقاتي، ويخضّل الصبا
قل مرحبا. (٣٥)

وتطرح لميعة فلسفتها الرامزة لزرع المحبة، وبدلالة جديدة وظفت شاعرثنا من خلالها رمزية اللون
الأخضر في قصيدتها (التأريخ المزور)...

كلُّ شيءٍ كُرويٍّ ما عدا الأرض
ولونُ الدمِ أخضر. (٣٦)

وتلون بشرى البستاني جروحاً جنتها من تسال الحب إلى قلبها، فوظفت اللون الأخضر في
قصيدتها (تسلات) لتداوي تلك الجروح، فتخلق حالة من الأمل، بقولها...

بهدهوء يتسللٌ نحوي
يزرع أسئلة لا تنتظر الرد
يزرع شيئاً لا أعرفه،
شيئاً ينثر في أفق الروح
غباراً أخضر،
وجعاً أخضر...
أبكي عند الفجر. (٣٧)

ونلاحظ كيف وجدن شواعرنا العراقيات في اللون الأخضر رمزاً لأفكارهن وعواطفهن ورؤيتهن
الشعرية المؤطرة بلمسات أنثوية، لذلك اختارت لهيب عبد الخالق اللون الأخضر لثوبها المقطوع، فتقول...

لو أن لي عشباً لأسكنه،
لأكبر مرة أخرى،
لأصرخ في المساء كما أريد،
وربما أختار قبراً
ثم أرفف فوقه كتبي،

ومئذنتي

وثوبي الأخضر المقطوع مني،
كي أنام بلا مبرر... (٣٨)

لكن الشاعرة أمل الجبوري رمزت لقلبها الحساس باللون الأخضر، بقولها...

كلُّ شيء إليك

كلُّ شيء جارف،

حتى العشب تعالي على خضرة قلبي

واعتلى الرماد لأن الأرض غير متألقة

محترقة بالنهار. (٣٩)

و ترتبط الشاعرة دنيا ميخائيل باللون الأزرق الذي يرمز إلى الهدوء والسكينة، لكنها عبرت من خلاله عن حزنها ورغبتها بالحرية والسير تحت رذاذ المطر، فلونت قصيدتها بلون البحر وأمرت بفتح النوافذ الزرقاء، لكي تخلق تواءماً بصرياً وشعورياً بين لون البحر وحزنها العميق، لتقول في (قصيدة زرقاء)...

افتح نوافذك الزرقاء

كي يخرج البحر المبتل بالقصائد

افتح نوافذك الزرقاء

يركض حزني حافياً

تحت رذاذ المطر المتساقط. (٤٠)

لكن تبدو الحياة في نظر نجاة نايف كالصحراء القاحلة، إذ وظفت اللون الأصفر في قصيدتها (الوهم)، ليرمز إلى ذبولها ويؤسها وضياح أحلامها، إذ تقول...

وتبدو الحياة

وريقات صفراً في مهب الريح

وتبدو الحياة

قفارا

بلا أغنيات

ولا أمنيات

أي وهم يعيد

لأحلامنا لونها. (٤١)

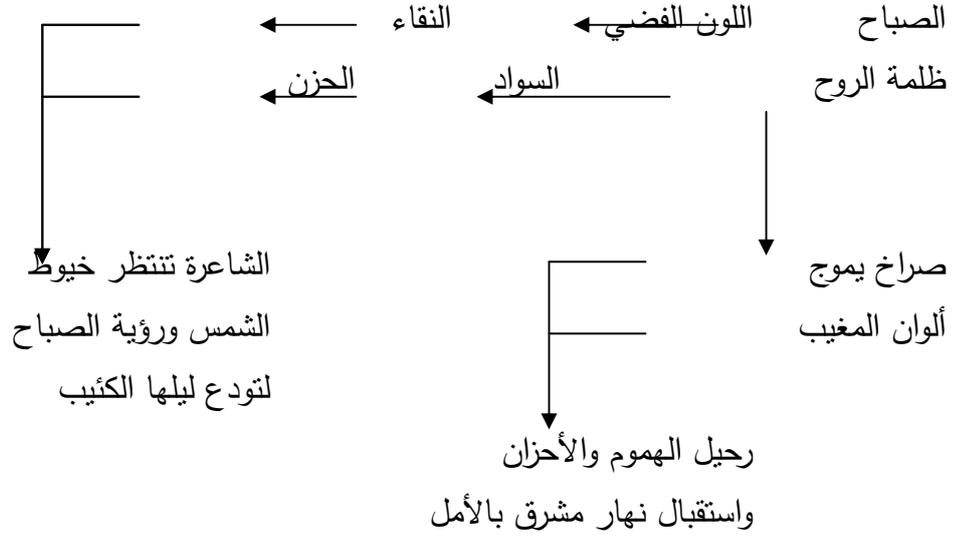
وتقدم لميعة عباس عمارة صورة حزينّة، وهي توظف اللون الأسود، لتصف السجن وما فيه من
ظلام وظلم، فكأنها تنتظر الحبيب الذي طالت غربته عنها، فتقول...

سنلتقي، لم يكن المحال
موعدنا، والحجرات السود
سوف أراك تسبقُ الرجال
مُلوحاً لي: أننا نعود...
وتفتح الأبواب باختيال
تُمدّد العذاب والصمود
ويزهّر الرمان.^(٤٢)

ويقول الشاعرة (ويزهّر) نرصد توظيفها للون الأحمر ضمناً، لتعكس مدى إيمانها بالحريّة
والانطلاق والفرح.

والشاعرة فائدة آل ياسين لا توظف اللون بشكل صريح، وإنما تلجأ من خلال مقطوعتها (أبيات
متناثرة في خضم روعي) إلى استعمال ألفاظٍ تترك لدى القارئ معرفة اللون ودلالته من خلال الإيقاع
اللوني الذي يسري في جسد القصيدة، فتتأدى شاعرتنا الصباح بعدما عانت من الحزن وقسوة الليالي،
لتقول...

يا صباحاً كدت أنسى لونك
الفضي في ظلّمة روعي
وأين بين روعي يتلظى
وصراخ بين أضلاعي يموج
يا صباحاً كاد شوقي لعيونك
يرتمي في حضن ألوان المغيب.^(٤٣)



وتصرح لميعة عباس عمارة بعشقها للون الأبيض الذي يرمز إلى النقاء والطهارة والسلام، فكأنها تغسل همومها وتلون عالمها الوجداني، وتعطر أحلامها من خلال رمزية اللون الأبيض، لتقول في قصيدتها (جامعات الملح)...

"حلو وناعمٌ وأبيض"

يا ملحنا

يا زرنا

من غير بذرٍ أو حصادٍ يبهُضُ".^(٤٤)

وتستنثر شاعرتنا (لفظة الظلام) كمرادف للون الأسود الذي تكون دلالاته ثابتة ولا يخضع لأي متغيرات، فنقول...

وعلى الحائط تتينٌ ينام

ينشق الرغبة من مرقده

ويمجُّ النارَ في جوفِ الظلام،^(٤٥)

وتُعلن ساجدة حميد رغبتها ورجاءها لرؤية الطيور البيض، فاخترته رمزاً لذاتها الراغبة برؤية السلام والنقاء والحب لذلك خاطبت ساعي البريد بقولها...

هني بما عودتني يا ساعي البريد

لا أرتجي سوى الطيور البيض

وهي تنطلق

في غرفتي

ثم تحوم حول قلبي
مشرعة. (٤٦)

وتعشق الشاعرة العراقية المعاصرة رؤية الطيور، لكونها ترمز إلى الحرية في عالم المرأة، لتقول
بشرى البستاني...

بهدهوء يتسلل نحوي
ويعلمني الأسماء
بيني،
بينه
سربُ يمامات بيضاء
لا تعرف نار الوجد
ولا سرُّ الطوفان... (٤٧)

وتلون لميعة عباس عمارة صورة عشقها لرؤية العالم بخير وسلام باللون الأبيض والأزرق،
فتقول...

تونسُ البيضاءُ يا زُرْقَ الشبابيكِ وأنفاسَ البخور. (٤٨)

لكن عزيمة سلوم تخشى من الزائر الذي يطرق أبواب قلبها، إذ توظف اللون الأزرق في غير
دلالاته الثابتة، لتقول في قصيدتها (في ظنوني.. نبأ)...

في ظنوني
يتلظى
نبأ ما
زائرٌ لي مستريبٌ
وأنا محضُ استحالة
أنا لن أفزع منه
إن يكن حباً، ومقتناً أزرقاً
أو خيبةً أخرى
جديده. (٤٩)

حاولت الشاعرة في هذه اللوحة الشعرية أن تعكس طبيعة المرأة الشرقية القادرة على الحب
والبغض في الوقت نفسه، لذلك نراها لونت (البغض) باللون الأزرق أي بمعنى (بغضها بلا حدود)،
فرمزت لتلك المشاعر القاسية بذلك اللون.

ووظفت لميعة عباس عمارة اللون الوردى في قصيدتها (زهرا الميموزا)، لما للون الوردى من خصوصية التألق والانشراح، فكما هو لون الورود وجمالها، هو رمز لجمال وسعادة الشاعرة أيضاً، إذ تقول... هـ

الآن...

أيا من كنت حبيبي

يُخجني تمثيلُ اللحظاتِ الوردية

وزهرهُ الميموزا

تُغلقُ دونَ المساتِ

اللا وديّه. (٥٠)

فالشاعرة حين استعملت هذا الأسلوب اللوني في قصائدها، جسدت به بعداً شعورياً كبيراً، من خلال انعكاس اللون على عالمها الذاتي، بوصفه مرآيا للأحاسيس التي تشعر بها، لذلك جاء ضرورة نفسية أعطت الصورة قيمة شعورية وفنية عالية، وجعلتها أكثر عمقاً واتساعاً. لكن الشاعرة بشرى البستاني تمسك فرشاتها السحرية لتلون الأفق باللون الأصفر، فتظهر لوحتها الشعر ذابلة -شاحبة- زوايا الألم تزخرفها، لتعكس مدى إحساسها باليأس بعد استسلامها للوعة الحب، فتقول في قصيدتها (تباريح)...

وهذا هو الكلُّ...

لوعني الحبُّ

أسلمني لنجوم الظهيرة

فاشتعلت غابة الأفق

غاصت تباريحُ روعي في الرمل،

غار الجسدُ...

إلى مطلع القلبِ

والرملُ طفلاً يراوغُ

والأفقُ أصفرُ،

أصفرُ. (٥١)

ونلاحظ مدى تفاؤل الشاعرة زهور دكسن وهي تقول...

إني أرى الشفقَ البرتقاليَّ

من طيلسانِ الظلامِ. (٥٢)

وللون البنفسجي تأثيره السحري في عالم المرأة، لكونه مرتبطاً بإحساسها وقدرتها التعبيرية، إذ
تقول بشرى البستاني...

أسائل وجهك عن يخلص قلبي من وهج شمسك

من وجع الشوق، شوق البنفسج وهو

يفتت أغصانَ روعي. (٥٣)

وتدرك لميعة عباس عمارة قيمة اللون ولغته التعبيرية، فتقول...

والليالي تموجُ بالألوان. (٥٤)

وقولها...

تكَسَّرَتِ السَّمَاءُ بِأَلْفِ لَوْنٍ. (٥٥)

واستثمرت الشاعرة رمزية اللون الأحمر في دلالاته المثيرة، وهي تستعرض صورة الراقصة الحافية
والعيون من حولها تكاد تلتهمها، لتقول (في المرقص)...

تتلوى الراقصةُ السمرَاءُ

وحافيةٌ قدماها،

والقبوُ الأحمر

جمزٌ ودخان

وعيونٌ تتشهاها

وشراب الليمون

أمامي

خجلٌ من خجلي

والعريُّ السكران

يتباهي. (٥٦)

وعبارة (القبو الأحمر) فيه دلالة واضحة للإثارة.

وتعشق ريم قيس كبة اللون الأحمر الذي يرمز إلى النشوة والتمرد والرومانسية، لتقول في
قصيدتها (أحمر)...

أحمر... أحمر

لَكُمْ أَحْبَبُكُمْ وَهَجاً

وأكرهك إشارة انتهاء!. (٥٧)

لم يقتصر مجيء الألوان وتوظيفها من قبل الشاعرة العراقية المعاصرة في القصيدة العمودية والحرّة، إنما وردت في قصيدة النثر، لتقول دنيا ميخائيل...
بعضها أضواء محايدة وأخرى منحاظة تأمرني بالسير أو الوقوف... لم يتبدل اللون الأحمر أمامي ووحين حاولت اجتيازه تبعته صافرات وتكشيرات منقنة...^(٥٨)
وتعطي نازك الملائكة وصفاً مؤثراً لحالة قلبها، ففتجمع بين ثلاثة ألوان (الأحمر-الأصفر-الأخضر)، لتقول...

ما بين الأحمر والأصفر والأخضر

تضحك يا قلبي، تبكي، تتذكر.^(٥٩)



التدرج بالألوان هو انعكاس لهذا التدرج النفسي عند الشاعرة، فهي تعيش ثورة للحب وتعطشاً له (أحمر) ولكن التقاليد والقيود تمنع ذلك من أن يتحقق (يأس) - (أصفر)، ومع ذلك تتعلق بالأمل في أن تُمنح حباً جميلاً (أخضر).

وهكذا يعد عالم الألوان من أكثر العوالم اقتراباً لعالم المرأة (الشاعرة) التي لمست من خلاله مدى إبداعها في التعبير عما يعترى وجدانها من أحاسيس وأحلام، فارتبطت برمزية اللون بشكل نفسي لذلك قدمت لوحات شعرية تستوعب حجم معاناتها الملونة بقضايا خاصة وعامة، حيث وظفت اللون بدلالاته الثابتة والمتغيرة لتؤثر في القارئ بالرغم من تفاوت مستوياته في التلقي، وتحفزه لقراءة سطورها الملونة التي كشفت أوراق شخصية عن حياة شاعرنا العراقيات وعن رقتن وجمالية تعاملهن مع اللون ودلالته، لاسيما اللون الأخضر والأحمر اللذان كانا أكثر اقتراباً لإحساس الشاعرة العراقية في معالجة قضاياها الوجدانية.

الهوامش

- (١) دلالة اللون في الفن العربي الاسلامي، د. عياض عبد الرحمن، ص ١٩.
- (٢) ينظر اللغة واللون، أحمد مختار عمر، ص ١٦١.
- (٣) دلالة اللون في الفن الاسلامي، ص ٥٩.
- (٤) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية ١٨٧.
- (٥) دلالة اللون في الفن العربي الاسلامي، ص ٦٠.
- (٦) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية ١٠٦.
- (٧) دلالة اللون في الفن العربي الاسلامي، ص ٦١.
- (٨) القرآن الكريم، سورة فاطر، آية ٢٧.
- (٩) دلالة اللون في الفن العربي الاسلامي، ص ٦١ نقلاً عن محاضرات الندوة المفتوحة، محمد بهجة الأثري، ص ٢٧.
- (١٠) القرآن الكريم، سورة الكهف، آية ٣١.
- (١١) دلالة اللون في الفن العربي الاسلامي، ص ٦٢.
- (١٢) القرآن الكريم، سور البقرة، آية ٦٩.
- (١٣) دلالة اللون في الفن العربي الاسلامي، ص ٦٢.
- (١٤) القرآن الكريم، سورة طه، آية ١٠٢.
- * للاستزادة: ينظر دلالات اللون في الفن العربي الاسلامي، ص ٥٩، ص ٦١، ص ٦٤، ص ٦٦.
- (١٥) الرسم كيف نتذوقه، فريدريك مالنز، ترجمة هادي الطائي، ص ١٨٤.
- (١٦) ينظر: دلالات اللون في الفن العربي الاسلامي، ص ٢٦.
- (١٧) البحث في الفراغ، د. صبري محمد عبد الغني، ص ٢٩ وينظر اللون الأبيض بين سلطة المفهوم وتقنية الرسم، أنس كاظم ياسر، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص ٢٩.
- (١٨) نظرية اللون، يحيى حمودة، ص ٢١ وينظر الرسم واللون، محي الدين طالو، ص ١٧٣.
- (١٩) (الأداء باللون في شعر زهير بن أبي سلمى)، محمود عبد الله الجادر، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد (٢)، ١٩٩٠، ص ٨٧.
- (٢٠) (الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها)، نوري حموي القيسي، مجلة الأقلام، العدد الأول، السنة الخامسة، ١٩٦٩، ص ٧٥.
- (٢١) الصورة الشعرية عند البردوني، وليد مشوح، ص ١٨٣.
- (٢٢) ينظر تطور القصيدة الفنية في الشعر العراقي، نعيم اليافي، ص ٢١٨.
- (٢٣) اللغة واللون، احمد مختار عمر، ص ٥٨.
- (٢٤) ينظر تداخل الفنون في شعر سعدي يوسف، إشراق مظلوم، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٨، ص ٢١.

- (٢٥) تطور القصيدة الفنية في الشعر العربي الحديث، ص ٢٢١.
- (٢٦) ينظر مقامات الحريري المصورة، ناهدة التميمي، ص ١٢٥.
- (٢٧) الشعر والفنون (دراسة في أنماط التداخل)، كريم شغيدل، ص ٢٧.
- (٢٨) شعر لميعة عباس عمارة (دراسة موضوعية فنية)، رجاء سالم الهيمص، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية-ابن رشد، ٢٠٠٠، ص ٢١١.
- (٢٩) نهر الحنان والأحزان، ص ٥٦.
- (٣٠) المجموعة الشعرية الكاملة، باب للنفس، ص ٣٠٦.
- (٣١) قيامة استفهام، ص ٣٨.
- (٣٢) غراس ... قصائد، ص ٥٧.
- (٣٣) واحتى هالة القمر، ص ٣٥، ص ٣٦.
- (٣٤) عراقية، ص ٢٨.
- (٣٥) البعد الأخير، ص ١٨.
- (٣٦) البعد الأخير، ص ٧٠.
- (٣٧) البحر يصطاد الضفاف، ص ٧٩.
- (٣٨) وطن ... وخبز ... وجسد، ص ٣٩.
- (٣٩) لك هذا الجسد لا خوف عليّ، ص ٥٣.
- (٤٠) نزيف البحر، ص ٦٧.
- (٤١) نوارس تقتترف التحليق، ص ١٢٧.
- (٤٢) يسمونه الحب، ص ٧٧.
- (٤٣) دائرة اللهو والآلام، ص ٦٤.
- (٤٤) أغاني عشتار، ص ١١.
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ٧٧.
- (٤٦) هوى النخل، ص ٨٣.
- (٤٧) البحر يصطاد الضفاف، ص ٨١.
- (٤٨) البعد الأخير، ص ١٠١.
- (٤٩) عذراً... إن استبحت الحقيقة، ص ١٠.
- (٥٠) البعد الأخير، ص ٤٣، ص ٤٤.
- (٥١) البحر يصطاد الضفاف، ص ٤١.
- (٥٢) واحتى هالة القمر، ص ١٥.
- (٥٣) الأغنية والسكين، ص ٢٩.
- (٥٤) أغاني عشتار، ص ٤٢.
- (٥٥) البعد الأخير، ص ١١٥.

(٥٦) يسمونه الحب، ص ٤٩ .

(٥٧) احتفاءً بالوقت الضائع، ص ٩٨ .

(٥٨) يوميات موجة خارج البحر ص ٤٢ .

(٥٩) الأعمال الشعرية الكاملة، ج ٢، ديوان الورد الحمراء، ص ٤٦٥ .

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. احتفاءً بالوقت الضائع، ريم قيس كبة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩ .
٣. الأداء باللون في شعر زهير بن أبي سلمى، محمود الجادر، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد ٢، السنة ١٩٩٠، (٨٤-١٠٦).
٤. الأعمال الشعرية الكاملة، نازك الملائكة، الجزء الثاني، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢ .
٥. أغاني عشتار، لميعة عباس عمارة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٩ .
٦. الأغنية والسكين، بشرى البستاني، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٦ .
٧. الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها، نوري حمودي القيسي، مجلة الأقاليم، العدد (١١)، السنة الخامسة، ١٩٦٩، (٧٥-٨١).
٨. البحث في الفراغ، د.صبري محمد عبد الغني، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الكوفة، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٩ .
٩. البحر يسطاد الضفاف، بشرى البستاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠ .
١٠. البعد الأخير، لميعة عباس عمارة، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧ .
١١. تداخل الفنون في شعر سعدي يوسف، إشراق مظلوم زكي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٨ .
١٢. تطور القصيدة الفنية في الشعر العربي الحديث، نعيم اليافي، منشورات اتحاد كتاب العرب .
١٣. دائرة اللهو والآلام، فائدة آل ياسين، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٧٩ .
١٤. دلالة اللون في الفن العربي الإسلامي، د.عياض عبد الرحمن الدوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ .
١٥. الرسم كيف نتذوقه (عناصر التكوين)، فريدريك مالنز، ترجمة هادي الطائي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٣ .
١٦. الرسم واللون، محي الدين طالو، دمشق، ١٩٦١ .

١٧. الشعر والفنون (دراسة في أنماط التداخل)، كريم شغيدل، دار شموع الثقافة، ليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.
١٨. شعر لميعة عباس عمارة (دراسة موضوعية فنية)، رجاء سالم الهيمص، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية-ابن رشد، ٢٠٠٠.
١٩. الصورة الشعرية عند البردوني، وليد مشوح، منشورات اتحاد كتاب العرب، ١٩٦٩.
٢٠. عذراً... إن استبحت الحقيقة، عزيزة سلوم، منشورات آمال الزهاوي، مطبعة أوفست عشتار، بغداد، ١٩٨٤.
٢١. عراقية، لميعة عباس عمارة، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢.
٢٢. غراس... قصائد، رفاة الإمامي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢.
٢٣. قيامة استفهام، نجاته عبد الله، دار الشؤون الثقافية، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٩٦.
٢٤. اللغة واللون، احمد مختار عمر، دار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.
٢٥. لك هذا الجسد لا خوف عليّ، أمل الجبوري، دار الساقى، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠.
٢٦. اللون الأبيض بين سلطة المفهوم وتقنية الرسم، أنس كاظم ياسر، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٢.
٢٧. المجموعة الشعرية الكاملة (سنة دواوين ومسرحية)، عاتكة الخزرجي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٦.
٢٨. محاضرات الندوة المفتوحة، محمد بهجة الأثري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٣.
٢٩. مقامات الحريري المصورة، ناهدة عبد الفتاح النعيمي، منشورات وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩.
٣٠. نزيه البحر، دنيا ميخائيل، منشورات آمال الزهاوي، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٦.
٣١. نظرية اللون، يحيى حمودة، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩.
٣٢. نهر الحنان والأحزان، ضوية عبد الباقي، مطبعة أوفسيت عشتار، بغداد، ١٩٨٦.
٣٣. نوارس تقترب التحليق، ريم قيس كبة، الطبعة الأولى، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٩١.
٣٤. هوى النخل، ساجدة حميد، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث (١٧٤)، دار الرشيد، ١٩٨٣.
٣٥. واحتى هالة القمر، زهور دكسن، دار الحرية-بغداد، ١٩٨٩.

٣٦. وطن... وخبز... وجسد، لهيب عبد الخالق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩.
٣٧. يسمونه الحب، لميعة عباس عمارة، دار العودة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٢.
٣٨. يوميات موجة خارج البحر، دنيا ميخائيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥.